توجيهات إسلامية

الأمانة في أداء المسؤولية في الوظائف وغيرها

فضيلة الدكتور عبيد الرحمن محمد حنيف
رئيس مركز الإمام البخاري، ممبائي

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسوله الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد:

إن الدعوة إلى الله مقصد نبيل، وغاية شريفة، يسعى لإدراكها من أراد الله به خيرًا من الدعاة والمصلحين، وهي مهمة الأنبياء والمرسلين، فقد أرسلهم الله عزوجل مبشرين ومنذرين، داعين إلى الله، جاهدين في إبلاغ ما وكل إليهم من النصح والبيان من غير وكس ولا شطط، ومن غير إفراط أو تفريط، وهم بجانب ذلك أُمناءُ مخلصون.

قال تعالى: {وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ، لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ، فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ} (الحاقة: ٤٤ – ٤٧)

ووصف عملهم بالنصح والأمانة، فقال: {أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ} (الأعراف: ٦٨)

فهم قد نصحوا الأمة، وأدوا الأمانة، وجاهدوا في الله حق جهاده، فصلوات ربي وسلامه عليهم أجمعين.

فالدعوة التي تصدر من ناصحٍ أمينٍ جديرة بأن تلقى قبولاً ورواجًا لدى الناس، فإن النصح والأمانة من الخصال التي تحلى بها الأنبياء والمرسلون، وهم أسوة لأقوامهم في مهمة الدعوة إلى الله، وهذه الخصلة إذا ابتعد عنها الداعية في دعوته يواجه من العقبات الكثيرة، ومن هنا جاءت أهمية هذا الموضوع وهو المعنون بـ (الأمانة في أداء المسؤولية في الوظائف وغيرها).

وقبل البدء في الموضوع أود الإشارة إلى بعض فقراته، وهي كالتالي:

التعريف بالأمانة، وإطلاقاتها، وأهميتها ومكانتها، وخطورة الابتعاد عنها، ومجالاتها، وهاكم تفاصيله:

أولاً: التعريف بالأمانة:

الأمانةُ:مصدر من أمِن يأمَن أمْنًا وأمَنةً وأمانًا وأمانةً فهو أمين، الأمانة هي السلامة، والجمع: أمانات.

والأمانة لها أصلان متقاربان: أحدهما: الأمانة التي هي ضد الخيانة، ومعناها: سكون القلب، والآخر: التصديق.

والأمانة والأَمَنَة: نقيض الخيانة.

ورجل أُمَنَةٌ وأَمَنَةٌ: أي يأمنه الناس ولا يخافون غائلته. انظر: معجم مقاييس اللغة (١٣٣/١) والمحكم والمحيط الأعظم (٤٩٢/١٠) والمصباح المنير (ص١٠) مادة أمن.

واصطلاحًا: لم أعثر على تعريفٍ جامعٍ للأمانة، وقد رأيت لأهل العلم في تفاسيرهم لها عباراتٍ وألفاظًا متنوعة مختلفة، فمن قائلٍ أنها الفرائض التي افترضها الله على عباده، وآخرون: أنها الطاعة، وآخرون: أنها التكليف الذى كلف الله تعالى به عبادَه والعهد الذى أخذه عليهم، وآخرون: هي الدين كله.

قال القرطبي في تفسير قوله تعالى: {إِنَّ اللهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (هذه الآية من أمهات الأحكام تضمنت جميع الدين والشرع.

قال: وممن قال إن الآية عامة في الجميع: البراء بن عازب وابن مسعود وابن عباس وأبي بن كعب قالوا: الأمانة في كل شيء، في الوضوء والصلاة والزكاة والجنابة والصوم والكيل والوزن والودائع).

وقال ابن كثير: (وهذا يعم جميع الأمانات الواجبة على الإنسان، من حقوق الله عز وجل على عباده، من الصلوات والزكوات، والكفارات والنذور والصيام، وغير

ذلك، مما هو مؤتمن عليه لا يطلع عليه العباد، ومن حقوق العباد بعضهم على بعض كالودائع وغير ذلك مما يأتمنون به بعضهم على بعض من غير اطلاع بينة على ذلك. فأمر الله عز وجل بأدائها).

وقال السعدي: (الأمانات كل ما ائتمن عليه الإنسان وأمر بالقيام به. فأمر الله عباده بأدائها أي: كاملة موفرة، لا منقوصة ولا مبخوسة، ولا ممطولا بها، ويدخل في ذلك أمانات الولايات والأموال والأسرار؛ والمأمورات التي لا يطلع عليها إلا الله).

وقال الشنقيطي في تفسير سورة المؤمنون: (والأمانة تشمل: كل ما استودعك الله، وأمرك بحفظه، فيدخل فيها حفظ جوارحك من كل ما لا يرضي الله، وحفظ ما ائتمنت عليه من حقوق الناس، والعهود أيضا تشمل: كلَ ما أُخِذ عليك العهد بحفظه، من حقوق الله، وحقوق الناس). انظر: تفسير القرطبي (٢٥٥/٥) وتفسير ابن كثير (٣٣٨/٢) وتفسير السعدي (ص١٨٣).

وقد توصلت من خلال هذه الأقوال إلى التعريف التالي للأمانة:

هي عبارةٌ عن خلُق ثابتٍ في النفس يحمل صاحبَها على أداء الفرائض كالصلاة والصيام ونحوها، وعلى العفة عما ليس له به حقٌ من ولاياتٍ،وأموالٍ، وحُرمٍ، وأسرارٍ ونحوها. انظر: الكليات للكفوي (ص١٧٦، ١٨٦) وموسوعة نضرة النعيم (٥٠٩/١) وعامة كتب التفاسير.

ثانيًا: إطلاقات الأمانة:

إن كلمة الأمانة وردت في كتاب الله عز وجل على ثلاثة أوجه:

أحدها: بمعنى الفرائض، كما في قوله تعالى: {وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} (الأنفال: ٢٧) {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ} (الأحزاب) ٧٢) ويعني بالأمانة: الفرائض.

والثاني: بمعنى الودائع، كما في قوله تعالى: {إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤدُّواْ الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا} (النساء: ٥٨) {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المؤمنون: ٨) ويعني بالأمانة: الفرائض.

والثالث: بمعنى العفة عن الحرام، كما في قوله تعالى: {قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} (القصص: ٢٦) ويعني بالأمين: العفيف.

انظر: الوجوه والنظائر لألفاظ كتاب الله العزيز، لأبي عبدالله الحسين بن محمد الدامغاني، (٦٧/١).

ثالثًا: أهمية الأمانة ومكانتها:

إن الأمانة من خصال أنبياء الله الصادقين، وأوليائه المؤمنين، قال تعالى مخبرًا عن نوح، وهود، وصالح، ولوطٍ، وشعيب، أن كل واحد منهم قال لقومه:

{إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ} (الشعراء: ١٠٧)، ووصف الله عز وجل أهل الإيمان بذلك: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ} (المؤمنون: ٨، والمعارج: ٣٢).

وكان أداء الأمانة من أهم الأمور التي كان يهتم بها نبينا محمد صلى الله عليه وسلم:

فعن عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ أَخْبَرَنِي أَبُو سُفْيَانَ أَنَّ هِرَقْلَ قَالَ لَهُ سَأَلْتُكَ مَاذَا يَأْمُرُكُمْ؟ فَزَعَمْتَ أَنَّهُ أَمَرَكُمْ بِالصَّلَاةِ وَالصِّدْقِ وَالْعَفَافِ وَالْوَفَاءِ بِالْعَهْدِ وَأَدَاءِ الْأَمَانَةِ. (خ/٢٦٨١).

ولعظيم مكانتها خلّف النبي صلى الله عليه وسلم ابنَ عمه علي بن أبي طالب وقت هجرته إلى المدينة النبوية موصيًا له برد الودائع التي كانت عنده إلى أهلها. انظر: سبل الهدى والرشاد للصالحي (٢٦٧/٣).

ومما يدل على أهميتها:

أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يهتم عند التوديع في السفر بذكر الأمانة بقوله: (أستودع الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك). (ت/٣٤٤٣) و (د/٢٦٠٠) وصححه الألباني.

ومن أوجه الدلالة على أهميتها ما ورد في فضلها:

فعن أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أنه قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الْخَازِنُ الْأَمِينُ الَّذِي يُؤَدِّي مَا أُمِرَ بِهِ طَيِّبَةً نَفْسُهُ أَحَدُ الْمُتَصَدِّقِينَ) (خ/٢٢٦٠).

وعن عائشة أنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا أنفقت المرأةُ من طعام بيتها غيرَ مُفسِدة كان لها أجرها بما أنفقت، ولزوجها أجره بما كسب، وللخازن مثل ذلك لا ينقص بعضهم أجر بعض شيئا) (م/١٠٢٤).

رابعًا: خطورة الابتعاد عن خصلة الأمانة، والتلبس بالخيانة:

مما لاشك فيه أن التحلي بوصف الأمانة من مكارم الأخلاق، وأنها من أوصاف الأنبياء والمرسلين، والدعاة والمصلحين، وأنه لا يزهد فيها إلا المنافقون والكافرون:

قال الله عزوجل مشيرًا إلى ثقل أداء الأمانة وخطورتها: {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا} (الأحزاب: ٧٢).

والمعنى: أنه أي الإنسان الذي لا يحفظ الأمانة وهو الكافر والمنافق المرتاب، {كَانَ ظَلُوماً جَهُولاً}، أي: كثير الظلم والجهل، والدليل على هذا :قرينة قرءانيّة دالّة على انقسام الإنسان في حمل الأمانة المذكورة إلى معذّب ومرحوم في قوله تعالى بعده: {لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُوراً رَحِيماً}، فدلّ هذا على أن الظلوم الجهول من الإنسان هو المعذب، والعياذ بالله، وهم المنافقون والمنافقات، والمشركون والمشركات، دون المؤمنين والمؤمنات. واللام في قوله: {لِيُعَذِّبَ}: لام التعليل، وهي متعلّقة بقوله: {وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ}.انظر: أضواء البيان.

ومما يدل على خطورة التفريط فيها ما جاء:

عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: (آية المنافق ثلاث: إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا اؤتمن خان). (خ/٣٣) و (م/٥٩).

وقد حذّر النبي صلى الله عليه وسلم من الاستخفاف بها أشد التحذير، وأنها متى لم يؤدِّ صاحبها حقها تكون سببًا للخزي والندامة:

فعن أبي ذر رضي الله عنه قال قلت: يا رسول الله ألا تستعملني؟ قال: فضرب بيده على منكبي ثم قال يا أبا ذر إنك ضعيف وإنها أمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة إلا من أخذها بحقها وأدى الذي عليه فيها. (م/١٨٢٥).

واعتبر النبي صلى الله عليه وسلم لمن أعطى صفقة يده ثم نكثها غدرةً، وأنها أنواع متعددة أعظمها خلع البيعة، وأنه يُنصب لصاحبها يوم القيامةلواءٌ بقدر غدره، ويُنادى باسمه أنها غدرةُ فلان بن فلان:

فعن ابن عمر قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إذا جمع الله الأولين والآخرين يوم القيامة يرفع لكل غادر لواءٌ فقيل هذه غدرة فلان بن فلان. (خ/٣١٨٨) و(م/١٧٣٥، وهذا لفظه).

وعن أبي سعيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: لكل غادر لواء يوم القيامة يرفع له بقدر غدره ألا ولا غادر أعظم غدرا من أمير عامة. (م/١٧٣٨).

ومن جعله الله واليًا على أموال المسلمين ثم لم يحفظها، واختص منها لنفسه فذلك غلول وخيانة، لا ينبغي التهاون في شأنه، وقد أنذر النبي صلى الله عليه وسلم لمن هذا سبيله أشد الإنذار:

فعَنْ أَبِي حُمَيْدٍ السَّاعِدِيِّ أَنَّهُ أَخْبَرَهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَعْمَلَ عَامِلًا فَجَاءَهُ الْعَامِلُ حِينَ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ فَقَالَ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا لَكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي فَقَالَ لَهُ: أَفَلَا قَعَدْتَ فِي بَيْتِ أَبِيكَ وَأُمِّكَ فَنَظَرْتَ أَيُهْدَى لَكَ أَمْ لَا ثُمَّ قَامَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَشِيَّةً بَعْدَ الصَّلَاةِ فَتَشَهَّدَ وَأَثْنَى عَلَى اللَّهِ بِمَا هُوَ أَهْلُهُ ثُمَّ قَالَ أَمَّا بَعْدُ فَمَا

بَالُ الْعَامِلِ نَسْتَعْمِلُهُ فَيَأْتِينَا فَيَقُولُ: هَذَا مِنْ عَمَلِكُمْ وَهَذَا أُهْدِيَ لِي أَفَلَا قَعَدَ فِي بَيْتِ أَبِيهِ وَأُمِّهِ فَنَظَرَ هَلْ يُهْدَى لَهُ أَمْ لَا فَوَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَغُلُّ أَحَدُكُمْ مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا جَاءَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَحْمِلُهُ عَلَى عُنُقِهِ إِنْ كَانَ بَعِيرًا جَاءَ بِهِ لَهُ رُغَاءٌ وَإِنْ كَانَتْ بَقَرَةً جَاءَ بِهَا لَهَا خُوَارٌ وَإِنْ كَانَتْ شَاةً جَاءَ بِهَا تَيْعَرُ فَقَدْ بَلَّغْتُ فَقَالَ أَبُو حُمَيْدٍ ثُمَّ رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَدَهُ حَتَّى إِنَّا لَنَنْظُرُ إِلَى عُفْرَةِ إِبْطَيْهِ.(خ/٦٦٣٦).

وفي لفظ لمسلم (١٨٣٢): (اللهم هل بلغت!!، مرتين).

أقول: وما أكثر هذه الخيانة باسم الهدايا الخاصة في هذه الأزمان، ولا سيما ممن يزاولون أمر جمع التبرعات من رؤساء المعاهد والجامعات والجمعيات، وأمنائها، داخل الهند وخارجها، ثم يصنفون الأموال المتبرعة إلى صنفين: (هذا لنا وهذا لمؤسستنا).

إذا كانت هذه أحوال كبار القوم ورواد الدعوة فما بالك عن أصاغرهم ممن ليس لهم خُطمٌ ولا أزمة!!!

أما آن الأوان أيها الإخوة في الله أن نتذكر مثل هذا الوعيد الشديد أن هذا وبال على صاحبه، ويأتي يوم القيامة وهو يحمل هذا الغل والخيانة على عنقه، أين الأمانة؟، وأين أصحابها؟ لا أكاد أراهم إلا في كتابٍ أو تحت التراب. (مستعار من كلام الإمام الذهبي في تذكرة الحفاظ ترجمة أبي بكر الصديق واصفاً أصحابَ الحديث في زمانه).

(يتبع)

❖❖❖